

دعاء إبراهيم

لرجل وحيد

جائزة ثانية

متالية قصصية

مكتبة عابث

ع ا ب ت مكتبة

الإلكترونية

جنازة ثانية لرجل وحيد  
متتالية قصصية  
دعاء إبراهيم

التصميم الداخلي: إبراهيم إمام

طبعة أولى أكتوبر 2015

إبراهيم، دعاء  
جنازة ثانية لرجل وحيد، متتالية قصصية،  
ط1 دار الربيع العربي، القاهرة، مصر.  
ردمك: 978-977-5221-37-7  
رقم الإيداع(مصر): 2015/20176

## الربيع العربي

للطباعة والنشر والدعاية والإعلان  
المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم  
002-01141411118  
002-01140848568  
www.rabe3arabe.com  
rabe3arabe@gmail.com



© كافة الحقوق محفوظة للناسر

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناسر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببضع فقرات لغرض النقد والدراسة، طبقاً لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.



# جنانة ثانية لرحيل وحيد

دكا  
إبراهيم

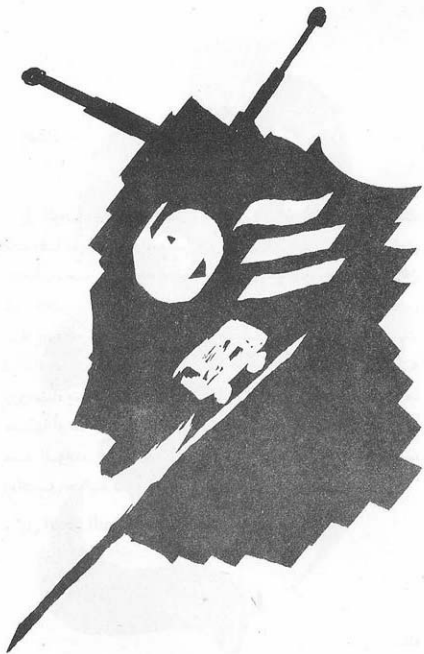


إهداء

إلى الرجل العجوز الذي يجلس بجوار النافذة، يمسك مصحفًا بين يديه السمراوتين، لا يذكر من حياته سوى لقطات، حين سافر أبوه من الصعيد إلى الإسكندرية، حين كان يدخل سيجارته في المقهى المجاور لبيته، زوجته حين خلا بها يوم عرسهما، ورآها لأول مرة، ابنته التي انجبت توأمًا، فقام بتسمية البنت دعاء، وترك تسمية الولد لابنته وزوجها، يتذكر فقط قصص متتالية عن حياته، لا يعرف ما سبقها أو ما تلاها، فلا مجال في الذاكرة لحكاية أزلية، تبدأ منذ الولادة حتى الممات، ليست هناك ذاكرة تستوعب تفاصيل حكاية طويلة، فالأمر أبسط من ذلك بكثير..

إلى الرجل العجوز الذي مات.

دعاء



## موت أول

فتحت الراديو على إذاعة الأغاني  
لتجد المذيع يرحب به:

معكم مسئول الأحياء يحدثكم  
عن حالة الطقس اليوم..

«اليوم الجو مشمس ربيعي دافئ،  
كل شيء على ما يُرام، لذلك أنصح كل  
الأحياء بصفتي مسئول عن سلامتهم  
بعدم مغادرة البيت، فأرض الشارع  
بها خطر مميت!»









كل شيء صار يحمل خطوطاً زرقاء، باب بيتنا..  
خطوات أُمي الليلية على أرضية الحجر.. جلباب  
أبي الذي كان يرتديه، وهو يدفن أختي الصغيرة.. قميص  
أُمي داخل مستشفى المعمورة.. رأس أختي الكبير.. عيني  
التي لم تذق النوم لثلاث سنوات متواصلة.. يد جارتني  
وهي تضرب أُمي لتمنعها من النافذة.. يدي بعد أن صرت  
أتولى أنا ضرب أُمي.. الجنة التي قد لا تتسع لنا جميعاً.

\*\*\*

عشر خطوات... ثم تليها صرخة من أُمي، وهي تفتح  
النافذة، ثم صرخة أخرى وهي تنظر إلى أرض الشارع، ثم  
صرخة ثالثة وهي تقبع جثة هامدة، عشر خطوات وثلاث  
صرخات، حيث تكون الأخيرة بشكل استثنائي لي، وأنا أمنعها  
وأطلب المساعدة، لم أنم من وقتها، فكل قفزات أُمي  
ليلية.

في بادئ الأمر كانت تساعدني جارتني التي تقبع أمامنا،  
والتي كانت صديقة أُمي، حتى صارت أُمي أكثر عنفاً،  
وبالتالي صارت هي أكثر عنفاً، فقامت بطردها، لأفعل ما

كانت تفعله بالضبط. جسدي وجسد أمي لا يخلوان من الأزرق!

\*\*\*

عشر خطوات، ثم تليها صرخة من أختي الصغيرة، حين يقذفها أبي على السرير، تتوالى صرخات أختي، وسط سبابه للأطباء جميعًا، ولأمي ولرأس أختي الكبير.. زغاريد، وُلد لنا مولود، ثم صمت مطبق، لم يحضر أحد السبوع، كما أننا لم ندعُ أحدًا، فرأس أختي وأوردتها المُحتقنة، وعيناها المرتفعتان والمشدودتان لأعلى، كانت كافية لأن يدهن أبي حجرة نومه باللون الأزرق.

\*\*\*

عشر خطوات وسط صرخات أختي التي لا تتوقف، ثم صمت، دلفت إلى الحجرة، وجدت أمي مبتسمة، وأختي صامتة جدًّا تحت مخدتها الضخمة، هرع أبي إلى دولاب ملابسه، وارتدى جلبابه المخطط ليقوم بدفن أختي، يومها لم تبك أمي، كانت عيناها تزوغان في أنحاء البيت، منذ ذلك اليوم لم أنم!

\*\*\*

يارب هل في الجنة مُتسع لنا جميعًا؟ لنجلس حول المائدة وتصنع لنا أمي الفطير بالعسل، كما كانت تفعل قديمًا، وتجلس أختي، وتكون قد كبرت قليلًا، لتصبح

في مثل سنيّ تقريبًا، وتضع رأسها على ظهري، لأنها لن تتحمّله على رقبتها، لأكثر من ربع ساعة، وتبادل أنا وهي الحكايا والأسرار. يا رب هل في الجنة أسرار؟ لا بُد أن يكون في الجنة أسرار، حتى لا تعلم أمي أنني أغمضت عيني، حين سمعتها تصرخ صرختها الأولى، وأحكمت الغطاء على أذني، وهي تصرخ صرختها الثانية.. ثم الثالثة... ثم هممتُ سريعًا لأنظف البيت، حتى لا يأتي المعزون ويجدوه متسخًا، بالفعل كان البيت نظيفًا جدًّا.

يا رب هل في الجنة مُتَّسَعٌ للألوان؟ فبعد موت أمي، أخذ أبي يدهن حجرته باللون الأصفر الباهت، وصرت أدخلها كثيرًا، لم يتزوج أبي ثانيةً، إلا بعد زواجي، يا رب لم أنم بعد موت أمي سوى ليلة واحدة، بعدها صرْتُ أستيقظ على صوتها مجددًا، يا رب ها أنا أمسك بيد أمي، وقدماي في مثل حجم قدميها تقريبًا. عشر خطوات وفتحْتُ النافذة، صرخة أخرى، واعتليتُ جدار النافذة، ثم الثالثة....

ها أنا ظمّانة جدًّا، يا رب هل في الجنة ماء؟





وَابْتَدَأَتْ  
بِحِجَابِ  
رَبِّهَا  
لَا يُبْصِرُ





**وقفت** أمام المرأة، تتأمل جسدها، أتتت  
الخامسة عشر أول أمس في صمت،

لم يبق في البيت غيرها وأبيها، الذي يجيء متأخرًا في  
الليل، فبعد وفاة أمها وأختها، لم يعد أحد يزورهما من  
أقاربهم. نظرت إلى وجهها، الهالات الزرقاء حول عينيها  
تزداد، رغم أنها صارت تنام جيدًا، نظرت إلى ثديها النافر  
خارج ملابسها، التي صارت تضيق عليها، فتحت خزانة  
ملابس أمها المهجورة، وأخرجت أحد ملابسها، كانت تعلم  
أنها ستكون واسعة عليها، لكنها أيضًا ستكون مريحة.

خلعت ثيابها، وارتدت ملابس أمها، كانت لا تزال تحمل  
رائحتها، أعادت النظر في المرأة، لم تجد وجهها! صورة  
أمها قابضة أمامها في سكون، تراجعت للخلف في دُعر، أخذت  
تصنع بعض الحركات، لكن صورة أمها ظلت ساكنة، لا  
تتحرك مع حركاتها، هرعت إلى مرآة الحمام، فوجدت وجه  
أمها يبتسم ابتسامتها المعتادة، والتي تتجه دومًا ناحية  
اليسار. أخذت تتحسّس وجه أمها في المرأة، استفاقت على  
صراخ أختها الصغيرة، يهز أركان البيت، بالضبط كما كان من

قبل، آتياً من حجرة أمها التي تركتها للتو، عادت أدراجها، لتجد أختها مُلقاة على السرير، وتصرخ صراخاً عالياً، أمسكت بها محاولةً تهدئتها، أخذت تهددها وتربت على ظهرها، وهي تتحرك في أركان الحجرة، وتنظر إلى المرأة بين الحين والآخر، فترى أمها تنظر لها في تحدٍّ واضح، وأختها تصرخ أكثر وأكثر، وضعتها على السرير، وهي تلف في أركان الحجرة لا تعرف ماذا تفعل. أخرجت ثديها النافر، لتضعه داخل فم أختها، حتى تلقمه وتصمت، كما كانت تفعل أمها معها، لكن أختها ظلت تصرخ، وكلما علا صوتها، كلما ازدادت أوردتها البارزة احتقائاً، وازداد بروز عينيها، أمسكتها بين يديها، نظرت إلى المرأة فرأت وجه أمها.. ملابس أمها.. ممسكة بطفلة أمها.. الوحش الصغير الذي لا يصمت، وضعتها على السرير، وأمسكت المخدة، ووضعتها على وجهها، لتصمت قليلاً، خفت الصوت تدريجياً، لكنها لم تكتف بذلك، أخذت تضغط بقوة أكبر، حتى صمتت تماماً، رفعت المخدة لتجدها قطعة زرقاء ثابتة العينين، حرّكتها بيدين مرتعشتين، لكن أختها لم تحرك ساكناً. لقد رأتها بنفس الصورة من قبل، نظرت إلى المرأة ثانية، فرأت وجهها يتساقط منه العرق، وقد اختفى وجه أمها تماماً، ل يبدو وجهها باهتاً بعد ما فعلت، خلعت ملابس أمها في هرع، وأخذت تقذف بها بعيداً، وكأنها السبب فيما حدث، حتى صارت عارية تماماً، اختبأت أسفل السرير، وسالت من عينيها الدموع، وهي تفكر بما فعلته للتو،

ارتفع صوت أبيها، وهو يفتح باب الشقة، عرفت أنه سيتزوج، ولا بُد له أن يتزوج، وأنه صبر كثيرًا على مرض أمها وأختها، ولم يتزوج، ولا بُد له أن يعيش ما تبقى من حياته ويتزوج! كانت الكلمات تتردد كثيرًا، وكذلك الأسماء، مرة يقولون أنه يحب جاريتها، والتي كانت صديقة أمها، ومرة أخرى يتحدثون عن الممرضة التي تسكن في نهاية الشارع، لم يكن يتحدث معها كثيرًا، كانت تعرف أخباره من الجيران.

خرجت من أسفل السرير ترتعش، لم تجد أختها، كما أن السرير كان ساكنًا تمامًا، كما ربّته في الصباح، المخدّة في مكانها، التقطت أنفاسها، وابتسمت فرحةً، وألقت بجسدها العاري، على السرير لبعض الوقت، كانت ملابسها وملابس أمها، ملقاة على أرضية الحجر، أمسكت بملابس أمها، وارتدتها بعد نظرة متفحّصة، واتجهت بخطى واثقة ناحية المرأة، تفكّ ضفائرها، وتلملم شعرها، وتعهده بنفس طريقة أمها، أمسكت بأحمر الشفاه، وضعته على شفيتها، وابتسمت بجانب فمها الأيسر، وهي تردّد «البيت لا يتسع إلا لامرأة واحدة».

كان أبوها لا يزال يعبث في أنحاء البيت كعادته، أطفأت نور الحجر، وخرجت سريعًا، لم تكن بحاجة لتلقي نظرة على المرأة ثانيةً، كما أن أباه العائد بعد عمل طويل، يحتاج إلى من يقابله مقابلة تروقه، لم يعتد عليها منذ زمن.





## هو

أعجبه الاسم.. والإشاعات التي تزداد كلما اقترب من بيت أبيها، يقولون أن أمها حاولت الانتحار آلاف المرات حتى الموت، وكانت لها أخت مريضة، لكنها ماتت «موتة رينا»، وأن البنت ربما ورثت من أمها نصف عقل تالف، تخطت الثلاثين بقليل، لها نهدان كبيران... طرق الباب ليطلب يدها للزواج.

\*\*\*

## هي

أعجبها الاسم.. ونظرته المستقرة على نهديها وأردافها، كان الوحيد الذي تشجّع وتقدّم لخطبتها، أخبرته أنها حاولت الانتحار مثل أمها لكنها فشلت، أبدى إعجابه بالأمر، فوافقت على الزواج منه فوراً.

\*\*\*

هو

أخبرته أن الدم الذي أرتبه إياه يوم زفافهما، كان بسبب  
شكة دبوس لإصبع قدمها، فبعد أن استأذنته لدخول  
الحمام، خرجت إليه وهي تُمسك بالمنديل الملطّخ ببقع  
الدم، لذلك فعليه أن يلقي بالمنديل الذي احتفظ به،  
لأنه لم تُعد له قيمة.. لم تستطع أن تخبره الحقيقة إلا  
بعد وفاتهما.

\*\*\*

هو/هي

كانا يتفاهمان بنظرة عين واحدة .







# اعتیادی



إلى  
السيد/ مدير الوحدة  
تحية طيبة وبعد..

أرجو من سيادتكم قبول طلب أجازة اعتيادي، يوم  
الأربعاء القادم، وذلك لظروفي الخاصة.

مُقَدِّمُه

.....

\*\*\*

إلى الموظف/ .....

تحية وبعد..

لن يتم قبول طلب الأجازة، طالما أن أحد الموظفين  
لم يوقع بالقيام بالعمل بدلاً منك، حيث إن المدير لا  
يرتضى أن تتوقف مصالح الناس بسبب أجازتك.

عنه مدير شئون العاملين

.....

\*\*\*

إلى  
السيد/ مدير الوحدة  
تحية طيبة وبعد..

أرجو من سيادتكم قبول طلب أجازة اعتيادي، يوم  
الأربعاء القادم، وذلك لظروفي الخاصة.

مُقَدِّمُه

.....

\*\*\*

إلى الموظف/ .....

تحية وبعد..

لن يتم قبول طلب الأجازة، طالما أن أحد الموظفين  
لم يوقع بالقيام بالعمل بدلاً منك، حيث إن المدير لا  
يرتضى أن تتوقف مصالح الناس بسبب أجازتك.

عنه مدير شئون العاملين

.....

\*\*\*

إلى السيد الأستاذ/ مدير الوحدة

تحية طيبة وبعد..

أرجو من سيادتكم قبول طلب الأجازة، مع العلم أن الزملاء جميعًا يرفضون القيام بالعمل بدلًا مني، وحيث إنه لا بديل لديّ عن ذلك، فأرجو من سيادتكم التغاضي عن القيام بالعمل، في ذلك اليوم، وذلك لظروفي الخاصة جدًا.

مُقدّمه

.....

\*\*\*

إلى الموظف/ .....

أما بعد..

ورغم تفضّلنا بالتغاضي عن جملة «مَن سيقوم بالعمل» إلا أنه بعد النظر إلى رصيد أجازاتك، وجد أنه لا يوجد لديك رصيد، سواء رصيد اعتيادي أو عارضة، ومن هنا لا يسعنا الموافقة على طلب الأجازة المقدّم، ونرجو منك الاهتمام بعملك.

عن مدير الوحدة

.....

\*\*\*

مكتبة عابث

إلى سيادة حضرة مدير الوحدة

تحية طيبة وبعد..

أرجو من سيادتكم الموافقة على طلب الأجازة، وذلك لأنني أود أن أموت في ذلك اليوم، ولم أكن أود إزعاج سيادتكم، بالإفصاح عن ظروفى الخاصة، ولكن ذلك رجاء، أرجو من سيادتكم الموافقة.

مُقَدَّمُه

.....

\*\*\*

إلى الموظف/.....

لا يمكننى إعطاؤك أجازة، مهما كانت الأسباب، فالأسباب دائماً كثيرة، ولا تتوقف مصلحة الوحدة، على أسباب العاملين بها، وإلا توقفت مصالح الناس، ونحيط علمك بأنك إذا تغيّبت ذلك اليوم، سوف يتم اعتباره يوم غياب، وسيتم تحويلك للشئون القانونية، وستحصل على خصم يتراوح من يوم إلى خمسة أيام.

عنه مدير شئون العاملين

.....

\*\*\*

إلى السيد المحترم المبجل مدير الوحدة  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
تحية طيبة وبعد..

يا سيادة المدير، إنني أود أن أموت في ذلك اليوم، ولا  
يمكن لطلب بسيط هكذا، أن يحول دون موتي، إلى جانب  
أنني لا أستطيع تحمّل مثل هذا الخصم، ولا أريد أن يبقى  
في سجلي جزاءات، فقد عملت في الحكومة عشر سنوات،  
بلا جزاء واحد، أتمنى من سيادتكم أن تنظر إلى طلبي  
بنظرة عطف، فقط لا غير.

\*\*\*

- فين القميص الأخضر اللي كان في الدولاب؟؟

- بيتغسل.

- ليه؟؟؟

- يعنى إيه ليه... كانت ريحته معفنة.

- وانتي مالك يا ستي، أنا كنت عايز أموت به حرام  
عليك.

- ما تموت بأي قميص، القمصان عندك كتير في  
الدولاب!

\*\*\*



إلى / .....

نظرًا لكثرة إلحاحك، وضيق وقتنا، يمكنك الموت بعد مواعيد العمل الرسمية، وبالتالي لن نقف أمام موتك، ولن يكون هناك ضرر على مصلحة الوحدة، أو تعطيل لمصالح الناس.

عنه

.....

\*\*\*

\_ الشنطة السوداء فين؟

\_ شحّتها.

\_ طب استني لما أموت، بتشحّتها دلوقتي ليه؟

\_ وانت عايزها ليه يعني؟!

\*\*\*

إلى سيادة المدير

تحية طيبة وبعد..

إنني أود أن أموت في لحظة الشروق، وهو نفس التوقيت الذي أستيظ فيه للذهاب للعمل، هل يُرضي سيادتكم أن تفوّت عليّ الوقت المحدّد لموتي؟

أرجو من سيادتكم الموافقة على منحي الأجازة.

مقدمه

.....

\*\*\*

إلى / .....

يمكنك أن تأخذ إذن صباحي، وتنتهي من قصة موتك،  
وتأتي إلى العمل بعد انتهاء ساعات الإذن الثلاث، أي في  
حدود العاشرة صباحاً، أما إذا تأخرت عن ذلك، فسيتم  
التشطيب عليك في دفتر الحضور والانصراف، واعتباره يوم  
غياب، وعلى الرغم من عدم وجود أذونات في رصيدك،  
فقد استهلكت كل أذوناتك، فقد تغاضينا عن ذلك، لنتهي  
من قصة أجازتك.

عنه

.....

\*\*\*

\_ أصفر.. أخضر.. مخطط.. كله هيبقى لونه أزرق في  
النهاية صدقني!  
\_ وده ليه بقى؟  
\_ عشان الدم.

\_ أنا هموت موته ما فيهاش دم.

\_ كل اللي ماتوا قدامي ازرقوا.

\_ انتي فاكراني هاموت زي أمك، وارمي نفسي من  
 البالكونة، وبعدين أنا أسمع إن الواحد بعد الموت وشه  
 بينور، وبعدين انتي إيش فهمك في الموت، كل اللي ماتوا  
 قدامك أختك وأمك بس، وأبوكي ربنا يعطيه الصحة،  
 عاملة خبيرة بتاع إيه؟

\_ بكرة تشوف، حتى لو اللي بتقوله حقيقي، انت أسمر  
 يوم ما تنور هترق!

\*\*\*

صباح الأربعاء، نهض من سريريه مبكرًا، ارتدى قميصه  
 الأزرق، وبنطاله الأسود، حمل حقيبتيه، وذهب إلى العمل في  
 تمام العاشرة، دون تأخير، وجلس إلى المكتب.





ورقة  
مكتبة

## أخذت

تكنس أرضية الحجر ، بعد ذهاب زوجها إلى العمل، أخرجت البطاطين في البالكونة تتشمّس، أثناء كنسها للحجرة، عثرت على ورقة كوتشينة أسفل الكومودينو، تذكّرت حين رأتها العنبر الضيق، رائحة البول الذي كان يتسرب دومًا من بامبرز أختها، حيث لم تُجد يومًا ما إحكامه، نظرة جارتها القابعة في السرير المجاور، حين أخبرتها أنها أتمت الحادية عشر أول أمس، أمها حين تطلب منها في كل مرة أن تجلس في المستشفى بدلًا منها، حتى تذهب إلى البيت ساعتين لتستحم وتعود، ثلاثة أيام وأمها تستحم، علبه اللبن، طريقة تحضير الرضعة، علبه البامبرز، كان هذا كل ما تحتاج إليه، حتى تفرغ أمها من الاستحمام.

عادت أمها بعد أربعة أيام، استقبلتها بابتسامة عريضة، ألقت إليها ابنتها، وانطلقت إلى الخارج، بعد أن حصلت على ثلاثة جنينها، بدت كرشوة جيدة، لإسكاتها

عن التذمُّر والشكوى، وشراء علبة كوتشينة، صعّدت إلى أمها لثريها ما جلبته، أو مأت الأم برأسها، وهي تسألها عما قاله الأطباء.

\_ عايزين يعملوا لها بذل للمية اللي على المخ.

\_ البذل هنا في المستشفى؟

فتحت علبة الكوتشينة قبل أن ترد، وبدأت تضع الأوراق أمام أمها لتشاركها اللعب..

\_ لأ..... العبي.

حدقتها أمها بنظرة قاسية، تأمرها أن تجمع الأوراق، وتُخفي هذه الكوتشينة، ولا تُظهرها ثانيةً.

لكنها أصرت على اللعب، ولم تكثرث لنظرات أمها، وضعت الأوراق على صدر أختها، لضيق السرير، وبدأت تلعب عن نفسها مرة، وعن أمها مرة أخرى، ظلت فترة هكذا، وأمها ترقبها جيداً، ثم سألتها عن كيفية اللعب، وتلفتت تتأمل حجرة الأطباء والتمريض، لم يكن بها أحد، يبدو أنهم منشغلون في عنبر آخر، أمسكت الأوراق في بطة وتملّمل، نظرت إلى ابنتها وسألتها: ما قالوش هنخرج إمتي من هنا؟

وضعت أحد الأوراق ، وأومات لابنتها لتبدأ اللعب..

كانت قد انتهت من كنس الحجرة، ألقت بالتراب الذي جمعته، وورقة الكوتشينة التي عثرت عليها في صندوق القمامة، وأكملت مسح الأرضية.







## الطريق

طويل.. هكذا بدا الأمر، منذ أن استيقظت على صوته الجهوري، وحركة يده المهترئة، همت سريعاً من على السرير، أخبرته بالأمس أنها ذاهبة معه، ليموتا معاً، تركته يضع خطة موتهما، هو الذي قرر ميعاد موتهما، في الصباح الباكر، رغم أنها أخبرته ألف مرة، أنهما من الممكن أن يموتا ليلاً أو عصرًا، فهي تكره الاستيقاظ مبكرًا.

«حطيت ماكينة الحلاقة.. حطيتي الحاجات الغريبة بتاعتك.. الشنطة السودا إيدها ضعيفة.. خد البني.. طيب هاتي صابونة.. اكوي القميص قبل ما تلبسه عشان مكسّر.. البسي بنظلون تحت الجيبة عشان ما تتعريش... أنا عايز أتصوّر معاي قبل ما نموت.. نبقى تتصوّر بعدين!»

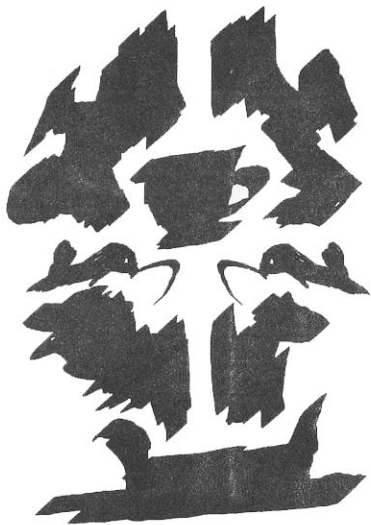
من بيتهم إلى ناصية الشارع مسافة كبيرة، أحياناً يركبان ميكروباص وأحياناً يمشيانها، لكن في هذه الساعة المبكرة،

لم يكن أمامهما سوى المشي، كان يُسرِع الخُطى، وكانت تحاول اللحاق به.. خطوة.. أولى.. ثانية.. ثالثة.. سادسة.. عاشرة.. عشرين.. ثلاثين.. وصل إلى الناصية، بينما كانت ترى ظله من بعيد، يقطعه مرور المارة بينهما، أشاح بيده متبرماً من تأخرها، رفعت يدها له لينتظرها، بدأت تُسرِع، وهو يقف واضعاً الحقيبة على الأرض، ومستنداً إلى الحائط، وبالفعل بدأت تقل المسافة بينهما، فإذا به يتحرك، وهو يُشير لها، لتلحق به، أخذت أنفاسها تتسارع، وهي تحاول أن تلحق به ثانيةً، كان ظله يبدو هائلاً أمامها، طويلاً نحيفاً، وكأنه عود ثقاب، يصل ما بين أرض الشارع والسَّماء، يقطعه المارة ليختفي حيناً، ويظهر حيناً، كانت المسافة بينهما تزداد، وهو لا ينظر للخلف ليراها، وكان شيئاً بدهياً أن تكون خلفه، توقفت تنظر إليه، مكتملاً سيره، لا يأبه بشيء، تراجعت عدة خطوات، خلعت حذاءها، الذي كان يعوقها عن اللحاق به، شعرت وهي حافية أنها ستكون أسرع، لكنها تحركت في اتجاه البيت، بينما هو مستمر في مشيته، وهي تشعر أنه يزداد طولاً كلما ابتعد.



مكتبة عابث





# جنازة شافية لرجل وحيد





## أخبرت

زوجتي أن جارنا الذي يسكن في الشقة  
المقابلة سيموت اليوم ثانيةً، لكن  
هذه المرة، لن يُترك ليموت في الحادث الأليم الذي  
مات فيه من قبل، ولن يُترك مُلقًى على سرير مستشفى  
حكومي يومًا كاملًا، حتى يأتي الطبيب الشرعي، ويُخلي  
الجثة من أي سُبهة جنائية، الأمر كله هذه المرة سيتم  
بطريقة لائقة، سيموت دافعًا في سريرهِ، كما يتمنى أي  
إنسان، ستدعو امرأته الأقارب جميعًا، لقد أخبرتني بميعاد  
الجنائزة من الآن، ستكون في نهاية الأسبوع، أظن أنه وقت  
مبكر جدًا لتحديد ميعاد الجنائزة، لكنها تقول أن في المرة  
الأولى لم يحضر الكثير من الناس، بسبب ضيق الوقت،  
وحدوث الأمر فجأة، فقد مات في عز شبابه، ستجعل  
الأجواء مناسبة لموتٍ أفضل من سابقه.

\_ وانت ناوي تضحك زي المرة اللي فاتت في الجنائزة  
وتفضحننا؟

\_ أنا ضحكت!!

\_ انت مش فاكِر ولا إِيه؟ أومال الجنازة هتتعمل تاني إِيه؟ كانت بتحبه أوي!

\_ لا هيعيدوا الجنازة عشان ماضحكش!! نكتة دي.

كان البيت مزدحمًا بالسَّواد، جميعهم مُمسكون بالمناديل ويتحبون، كانت جارتنا هذه المرة قد دفعت لشاب، لصنع فناجين القهوة للمُعزِّين، وأحضرت شيئًا ليقرأ بعض آيات القرآن، وهو ما لم يتم في المرة الأولى، ربما لأنهم ورثوا أمواله، مما مكَّنهم من دفع المصاريف اللازمة، أسرعت زوجتي نحو جارتنا، فضَّلت ارتداء عباءة بُنيَّة اللون، دلفت إليها، وألقت على مسامعها بعض كلمات العزاء، وسط الأحاديث الجانبيَّة للمُعزِّين، الذين كَفَّوا عن النَّحِب، وأخذوا يتحدثون في أمور الحياة المختلفة، ويرشفون القهوة.

كان الرجل بالداخل في حجرته، ينتظر لحظاته الأخيرة للمرة الثانية، لا يختلف عمَّا كان عليه سوى من بعض الجروح والدماء، كان أكثر هدوءًا من السابق، فلم يكن هناك مجال للصراع، أو لتغيير نهاية سيؤول إليها، فالأمر بات مُسلَّمًا به.

كانت الجنازة هائلة، حشد كبير من البشر، لم يكن هناك مبرر لعدم المجيء، انطلقوا بعد صلاة الجمعة إلى المدافن، كلما تذكرت عينها وهي تطلب مني ألا أضحك،

وأني كنت أضحك في الجنازة السابقة، كلما اشتعل برأسي الغضب، لقد كان من أعز جيراني، كما أننا عشرة عُمر، لكنه مات في المرة الأولى، ولم يخبرني، وها هو يموت ثانيةً ولم يخبرني أيضاً، زوجته هي التي أخبرتني، السيدات يُفسدن كل شيء، الحياة والموت، شعرت بالحنق، إنه يتصرف بأنانية مفرطة، فربما كنت أود الموت معه، هل أعادوا موته لأنني كنت أضحك في المرة الأولى، ولم أحسن التصرف! لقد مات في المرة الأولى، وهرب من دفع المشاريب التي كان عليه أن يدفعها، بعد أن غلبته في دور الدومينو، لماذا يبكي هؤلاء الحمقى، ألم يكفهم أنهم بكوا في المرة الأولى! أولى به أن يبكي هو علينا، فقد مات بينما نحن نشرب القهوة ونسير خلفه، حظه دائماً جيد، بل جيد جداً، فلم أغلبه سوى مرة واحدة، وبعدها مات، كل هذه المشاريب دفعتها أنا، ولم أمت في النهاية. نظرتها وهي تتهمني بأنني سبب كل ما يصير الآن، بسبب ضحكة!! أنا لا أتذكر شيئاً، لكن إصرارها مُضحك بالفعل، ابتسمت وأنا أتذكر مدى جنونها، وصلنا إلى القبر، بدأوا يحملون جسده، لينزلوه داخل الحفرة، ويهيلوا عليه التراب، أدركت أنه لم يُعد له وجود هنا، لقد ذهب بشكل نهائي، وقتها لم أستطع أن أتوقف عن الضحك!





## كانا

يتحدثان بجوار النافذة، فقد صنعتُ له كوبًا من القهوة، بعد أن انتهى الحديث بينهما، ساقته إلى النافذة وألقت به، ليسقط في أرض الشارع ويصبغه بألوان متعددة، حاولت أن تقفز خلفه، لكنها لم تستطع، كان ما يحدث كله صدمة لها، فالأمر أبسط من ذلك بكثير، فقد ألقت بنفسها من قبل، ضربات قلبها بدأت في التزايد، وبدأ العرق يتساقط من جبينها، وهي تنظر إلى أرض الشارع.. والسما.

\*\*\*

كان يمسك ثديها بين يديه، بينما كان جسدها ينتفض أسفل منه، ابتسم وأومأ برأسه، ليؤكد لها رغبته في أن يحدث ما اتفقا عليه الآن، فليس هناك وقت أفضل، امتدت يدها حول عنقه، في نفس الوقت الذي امتدت يده حول عنقها، تحول جسده لجثة هامدة في لحظات، وهي لا تزال حيّة! لم تتأثر بشيء، وكأنه لم يحاول حتى خنقها، أخذت تهز جسده، دون فائدة، كان راقداً بلا حراك، بدا

لها أنه يتسم، وكأنه يتعمد إثارة غيظها وغيرتها، اشتعل رأسها، وأخذت تنادي على الجيران، ليقوم أحدهم بقتلها بدلًا منه.

\*\*\*

أصر على زيارة أمه والمتبقين من أهله، كان أشبه بتوديع أكثر منه زيارة عادية، مما أثار قلق أمه، وكثرت أسئلتها الخانقة بالنسبة إليها، بدا المشهد دراميًا فجًا، حاولت بكل الطرق إنهاء الزيارة سريعًا، لتستعدّ لما أتت من أجله بالفعل، اتجها هما الاثنان بعيدًا عن محطة القطار، حتى صارا وحيدين، بعيدًا عن أعين الناس، جلسا بين قضبان القطار بأيدي متشابكة، في انتظار صافرة القطار، لحظات قليلة، وصار المشهد كله ملطّخًا بدمائهما، فتحت عينيها، لتجد الناس مُلتقّين حولها، يحملونها باتجاه المستشفى، نادى عليه، لم يتحرك كالعادة، صوتها المبحوح لم يصل إلى آذانهم، ليقفهم، ويخبرهم أنها لا تريد الذهاب إلى المستشفى.

\*\*\*

قاما بتأجير مركب في البحر، البقية كانت تعرفها جيدًا، لم يكن هناك داع لرؤية نفسها، في كل مرة دون أن تموت، ورؤيته وهو يحظى بما يريد، لذا استيقظت سريعًا من سريرها، بعد أن ألفت عليه نظرة لوم، واتجهت مباشرةً

إلى المطبخ نُعد لهما الإفطار، وتنادي عليه بين الحين والآخر ليستيقظ ، ابتلع كلماتها التي تطالبه بشراء طماطم حمراء من السوق.. جُبن تري من عند البقال.. عيش فينو للعشاء. سكب نصف كوب الشاي في فمه، خلف كلماتها وساندوتش الجُبن، وهو يهبط أولى درجات السلم، حتى لا يتأخر عن العمل، أغلقت الباب خلفه، واتجهت ناحية النافذة بحركة آلية، فتحتها وتأمّلت أرض الشارع، والسماء، ثم أغلقتها جيّدًا، ودلفت إلى سريرها، لتُكمل نومها.



الموتى  
يقربون  
الفاخرة



**فتحت** عيني، لأجد وجهي مُغطى بقطعة قماش، أزحّتها، وحاولت القيام من نومي، فاصطدم رأسي بجدار أو حائط، فوق رأسي بحوالي نصف متر، المكان مُظلم للغاية، لا يوجد به مَنْقذ لقطعة ضوء واحدة، سمعت صوتًا قريبًا مِنِّي يقول:

الصوت الأول: ماذا نأكل؟ أنا جوعان.

ثم ارتفع صوتان عن يميني..

الصوت الثاني: نعم.. إنها ذكرى وفاتي.. لا أعرف لماذا يأتون في هذا اليوم، أنا هنا طوال الوقت، لا أبرح مكاني، وهم يعرفونه جيدًا، لا أعرف تحديدًا كيف يحددونه، لكن لا بأس.

الصوت الثالث: لا أجد صعوبة في تحديد المكان، أعتقد أن المهم أنهم سيأتون، اجلس وانتظرهم.

الصوت الثاني: سنأكل ولكن انتظر قليلاً.

الصوت الأول: الله حيّ.. الأحياء فيهم روح الله، أما نحن... لا أريد أن أقابل أحداً منهم.

الصوت الثالث: لماذا؟

الصوت الأول: إنهم بؤساء.

الصوت الثالث: ونحن؟

الصوت الأول: بؤساء أيضاً.. لم نأكل حتى الآن.

استغرقني الأمر لحظات، حتى أستوعب ما قيل، لم أكن بحاجة للسؤال، كنت أعرف أنني في القبر الآن، تحسّست المكان جيداً، التراب يقع أسفل مني، وأنا مُغطى بقطعة قماش، لا بُد أن لونها أبيض، أزحّتها لأصبح عارياً تماماً، أرحتُ رأسي إلى الأرض أفكر... انطلق صوتي قائلاً: تتحدثون الفصحى!! لم أعتد عليها بتلك الطريقة.

الصوت الثاني: كخطبة الجمعة.

الصوت الثالث: نشرة التاسعة، ألم تكن تواظب على سماعها، كنت أواظب على سماعها كل يوم، رغم أنه لم يكن هناك جديد، كل الأشياء تكرر نفسها، لكني لا أتذكر منها شيئاً الآن، وأحياناً ما أسمعها هنا، فالأمر لا يخلو من بعض الجرائد.

الصوت الأول: لا أحب نشرة التاسعة، إنها بائسة.

كانت هناك حركة في الأعلى، أعلى رؤوسنا، خطوات قريبة مني، ارتفع صوت امرأة تشكو ابنها، تقول أنه تغير في معاملتها كثيرًا، ولم يعد يذاكر كما كان من قبل، ثم تحركت سريعًا، وهي تدعو على زوجها، الذي تركها في الدنيا وحيدة، لتصبح أبا وأما معًا، ساد الصمت ثم ارتفع صوت امرأة أخرى، لكن هذه المرة، كانت زوجتي، انطلق صوتها يخبرني، أنها ماتت قبلي بستة أشهر. كنت أعرف أنها ماتت قبلي، لكني لم أكن أعرف المدة الزمنية بين موتها وموتي، أخبرتني أنها أكثر حرية الآن، ولا بد لي أن أترك القبر، فلا أحد يبقى في القبر للأبد، ثم بدأ صوتها يأخذ منحى أكثر جدية، أخبرتني أن المنديل الذي احتفظ به، منذ يوم زفافنا، قبل عشرين عامًا تقريبًا، ليس له قيمة، فبعد أن استأذنتني لدخول الحمام، قامت باستخدام دبوس، خدشت به إصبع قدمها، ثم أمسكت المنديل، لطّخته بالدماء، ووضعت أسفل منها... صمتت ثم أحسست بخطواتها تتباعد.

نبشت الأرض أسفل مني، وأخرجت المنديل، وألقيت به بعيدًا، كان صوتها بالتأكيد وصل إلى آذانهم... خيم الصمت لفترة، ثم انطلق صوت أحدهم..

الصوت الأول: سأصنع لنا الشاي.

الصوت الثاني: لقد فقدت عقلها، تأتي لتدعو عليّ، وكأنني تركتها بكامل رغبتني، كما أن المشكلة تكمن في تربيتها

للأولاد.

الصوت الأول: الأحياء مزعجون، فليدعونا وشأننا!

الصوت الثالث: لا بُد أنك كنت تقوم بتدليله، حين كان صغيراً بالتأكيد .

الصوت الثاني: ربما... أنا مذنب إذًا؟

الصوت الأول: من قال ذلك؟

الصوت الثاني: هو... يقول لي أنني مذنب! لأنني لم أحسن تربيته.

الصوت الأول: كيف لم تُحسن تربيته؟

الصوت الثاني: لا أدري، لا أتذكر.. كان ذلك منذ زمن بعيد، تركتهما طفلين صغيرين، لكنه يتذكر جيدًا اسأله هو، يقول أنني كنت أدلله، ويبدو أن زوجتي أيضًا تعرف ذلك، أنا الوحيد الذي لم أكن أعرف أنني مُذنب!

رفعت صوتي ليسمعني الجميع: سأقتلها!

الصوت الثاني: لكنها ماتت بالفعل.

الصوت الثالث: لا يهم دعه يقتلها، كلنا نموت أكثر من مرة، ربما نموت في اليوم مرة أو مرتين... دعه يفعل... هذا حقّه .

سألتهم: وهل متُّ من قبل؟

الصوت الثاني: كلنا متنا من قبل، وبما أنك لا تختلف عنَّا كثيرًا، فلا بُد أنك أيضًا متُّ من قبل، وبما أنه لا أحد يستطيع أن يجزم أنك لم تُمّت من قبل، إذًا فإنني أستطيع دون أدنى شك، أن أخبرك أنك متُّ من قبل.

قلت: وإذا كنتُ متُّ من قبل، هل جئت إلى هنا من قبل؟

الصوت الثاني: إذا كنت متُّ من قبل، فلا بُد أنك أتيت إلى هنا من قبل، لكن هذه أول مرة أراك فيها، ربما متُّ في وقت لم أكن فيه هنا، وربما لم تأت أصلًا، أو ربما لم آت أنا هنا من قبل، لأراك وأنت هنا من قبل.

رددتُ: أنا لا أتذكر شيئًا.

الصوت الثاني: بما أنك متُّ من قبل، وهذا مؤكّد كما قلت أنت، وجئت إلى هنا ككل الموتى، فلا بُد أنك رأيتنا من قبل، هذا شيء مفروغ منه، المشكلة أن ابني لا يذاكر وأنا المذنب الوحيد، وليس هناك إمكانية لحل المشكلة.

استطردتُ: أريد أن أخرج من هنا، لأقتلها وأقتله.

الصوت الثاني: هل تعرفه جيدًا؟ لا بُد أن تعرف الشخص جيدًا لتعيش معه، فبعد أن تقتله وتقتلها ستصبحون أمواتًا جميعكم، وقد تتشاركون قبورًا متقاربة، مثلنا نحن، تخيّل لو أننا لا نعرف بعضنا البعض جيدًا.

الصوت الأول: أنا لا أعرفكم .

الصوت الثاني: نحن نعرف بعضنا البعض جيّدًا، لا تصدّقه، فأنا أعرفك تمام المعرفة على سبيل المثال! استطرذتُ: أنا؟ ربما! لا يهم أن أعرفه، فقد أقمت علاقة مع إحداهن، دون أن أعرف اسمها، كان ذلك بعد موت زوجتي، أرسلها لي أحد أصدقائي، ليخفف عني.

الصوت الثاني: مَنْ يخفّف عني، أنا الذي أفسدته، أنا السبب فيما يحدث.

الصوت الثالث: أنا غير متأكد أنك كنت تقوم بتدليله، كان ذلك استنتاجًا، ولكن بما أنك مُصِرّ على أنك أفسدته، فيبدو أن المسكينة كان لديها حق، لقد أفسدته، ولم تُحسن يومًا تربيته، كما أنك كنت تساعد على عصيان والدته.

الصوت الأول: وهل كانت جميلة؟ وكيف تم الأمر؟

رددت : كان جمالها عظيمًا.. حية تبض بالحياة، جعلتها ترتدي السّواد، وتأتي كأنها إحدى المُعزّيات، دلفت إلى شقتي، دون أن يشعر بها الجيران.

الصوت الثاني: لكنك فعلت ذلك وزوجتك ميتة، أما هي خانتك وأنت حيٌّ تُرزق.

الصوت الثالث: كان ذلك قبل أن تراك؟ أم بعد أن عرفتكَ؟ أثناء الخطوبة مثلًا.

رددت: تزوجنا خلال أيام، لم تكن هناك خطوبة.

الصوت الثالث: إذًا لم تكن تعرفك، إذًا أنت كنت ميت بالنسبة إليها أليس كذلك؟

رددت: أنا كنت حيًا، ألا تعرفون شيئًا سوى الموت.. الموت.. الموت.. أووووف!

الصوت الأول: أنا حزين.. الموت أثر فينا للغاية.

الصوت الثالث: لم تكن تعرفك وقتها، لم تتطلع على السجل المدني، لتعرف أنك حي، كما أنك فعلت ما فعلت، وهي أيضًا حية في مكان ما.

رددت: ظللتُ متزوجًا بها عشرين عامًا.. كان السرير أشبه بهذا القبر، التراب من الأسفل، وليس فيه موضع قدم، ثم في النهاية شيء يطبق على الصدر، وبعد ذلك كله أكتشف خيانتها، وبتلك الطريقة، حتى إنها لم تعتذر!

الصوت الأول: هذا أسوأ سرير رأيته في حياتي، أخبرني كيف كان السرير الآخر؟ (يضحك)

استطردت: شعرتُ معها أيّ وُلدتُ للتو.. شعرتُ أنني مُغطى بسائل أمي ودم أمي، أريد أن أبكي، وأتلفس النفس الأول.

الصوت الأول: لقد ماتت وتركتك لتعيش حياتك كما ينبغي.. لا بُد أن تشكرها.. دعك من الدراما التي تعيشها،



وأحضر لها هدية.

رددت: لو كان هذا ما حدث بالفعل، لأحضرت هدية كما تقول.

الصوت الأول: هل أنجبتما طفلًا؟ يمكن أن تجعله يحمل الهدية إليها.

رددت: الحبوب وأختها ذات الرأس الكبير، لم تجعلنا ننجب، لا نستطيع أن نحكم على مدى التشوه الذي قد يحدث، لا أحد يستطيع أن يحكم، كما أننا لا نستطيع أن نثق في الأطباء.

الصوت الأول: فكرت في هدية، يمكنني أن أساعدك.

رددت: لا جدوى من الهدايا، فأنا لم أعش حياتي، كان السرير ينبض بالحياة، مع تلك المرأة، لكنني كنت أشبه بـ رجل عجوز يتكئ على عصاه، جسدي كله يتكئ عليه.. عليه وحده.. لذلك ظل نائمًا أسفل مني، لم يستيقظ رغم كل ما فعلته من أجلي، في النهاية لم تخلُ كلماتها من التوبيخ، شعرتُ بمدى قسوتها.

الصوت الأول: لم يحدث شيء في النهاية، إذًا حقك أن تقتلها، لأنه لم يحدث شيء في النهاية.. يا للأسف الشديد! إنني آسف جدًا لأني ذكركُ بأنه لم يحدث شيء في النهاية.

الصوت الثالث: يبدو أنك لم تستطع التخلي عن القبر، ولو لمرة واحدة.

الصوت الثاني: ماذا أفعل الآن، هل أرسل لزوجتي وابني الفاشل هدية، لأعتذر عما حدث مني؟ فكرة الهدية أعجبتني.

الصوت الثالث: ماذا ستفعل الهدية بعد أن أفسدته، ودلّته، ثم في النهاية قتلته!

الصوت الثاني: قتلته!

الصوت الأول: يبدو لي أنك فعلت. كل شيء يدل على ذلك، الأمر واضح كالشمس، كما أني أذكر أنك قلت شيئاً من هذا القبيل.

سألهم: عمّ تتحدثون؟

الصوت الثاني: أنا قتلت ابني؟ أنا قتلت ابني؟ (يبدو من صوته أنه يبكي).

الصوت الأول: دعهم إنهم بؤساء، يبدو أنك لم تستطع التخلي عن القبر، ولو لمرة واحدة كما قال الرجل، لكن لا بأس أنا أحب القبر أيضاً.

الصوت الثاني: أنا أيضاً أحب القبر كثيراً، فقد قتلت ابني كما يبدو، لا أريد أن أترك القبر أبداً، فلو تركت القبر سأعود إلى تلك المرأة التي تدعو عليّ في كل صباح، كما أنهم قد يحاسبونني ويقتلونني على قتل ابني، لا أريد أن أموت، كما أنني لم أحب تلك المرأة التي تحدثت عنها، العاهرات ممثلات، يمكنك بعد فترة وجيزة الشعور بزيفهن.

الصوت الأول: والزوجات أيضًا مزيفات.

الصوت الثالث: وأنا أيضًا لم أحب تلك العاهرة.

الصوت الأول: وأنا أيضًا.. لقد كانت قاسية في النهاية.

الصوت الثالث: ألا ترى كم هو جميل القبر؟

الصوت الثاني: نعم.. أتفق معك.

الصوت الأول: وأنا أيضًا.

الصوت الثالث: وأنا أيضًا.



مکتبة عابث



فخانی  
شای  
یار

## اقترِب

من فنجان الشاي الموضوع على المائدة ببطء، ففكر قليلاً قبل الإمساك به، أخذ يتأمل الشاي المتململ بين يديه للحظات، نظرتها المؤكدة له بضرورة شرب الشاي، قبل أن يبرد، كانت تقطع عليه حبل أفكاره، لكنه كان يثق بها، فهي خبيرة في علم الموت، يكفي أنها ماتت قبله بستة أشهر، كما أنه لا يعرف غيرها في تلك الحياة التي تلي الموت، فبعد خروجه من القبر، وجدها في انتظاره، ذهباً إلى بيتهما، لم يتغير فيه شيء.

\_ انتي حاسّة بحاجة؟

\_ بمعنى؟

\_ بعد الموت...

\_ لا.. أنا مش حاسة بحاجة من فترة، اسأل حد غيري، لما تنزل تشتري طلبات البيت اسأل البقال.

\_ انتي هتطبخي هنا؟

\_ ليه مش هناك؟!\_

ربتت على كتفه باستهزاء، وقامت من جلستها، بعد أن أنهت فنجان القهوة، لتضع الغسيل داخل الغسالة، وتضغط مفتاح التشغيل، فتبدأ دورانها المحموم.

\_ إزاي أفرق بين الأحياء والموتى؟\_

\_ مش مهم، اسأل أي حد.

\_ فين الفلوس؟\_

\_ في درج التسريحة، هتلاقيها وسط هدومي.

فتش بين ملابسها، وجد ثيابًا جديدة، لم يعهدها من قبل، التمع في عينيه بريق وسألها:

- انتي جبتي الحاجات الجديدة دي إمتى؟

ابتسمت بفم مُتَّجه ناحية اليسار، وهي تُطبق ورقة الطلبات في يده، دون أن تُجيب، وضعها في جيب الجاكت، وخرج سريعًا إلى الشارع، وقف عند الخضري، وسأله «بكام البطاطس»، ولم يفصله، اشترى كيلو، حاول أكثر من مرة أن يخرج عن سياق الشراء، ويسأله عما إذا كان يشعر بشيء، لكنه تردد، غادره دون أن يسأله، الشوارع مزدحمة للغاية، والرجل العجوز القابع في زاوية الشارع ينظر إلى السيارات المتحركة، ولا يعبر، أسرع إليه، دومًا ما توجد مساحة للحديث عند مساعدة الآخرين، أمسك بيده

ليعبر به الطريق..

\_ ربنا يبارك في عمرك يا بني.

\_ انت حاسس بحاجة يا حاج؟

\_ طبَّعًا.

\_ طب إيه هو؟

\_ تقلُّصات على فترات متقطَّعة.

\_ ورحت لدكتور لحل المشكلة دي؟

\_ لا.. اتعودت لدرجة إني ما بقيتش بحسَّ بيها، رغم إني متأكد من وجودها، أنا مبسوط إني نجحت في ده، في البداية كنت بتجاهلها، دلوقتي ما بقيتش أحس بيها خالص، أنا صحي كويسة دلوقتي، ومش حاسس بحاجة.

عبر به جانبًا واحدًا من الطريق، وتركه ليعبر الجانب الآخر دون مساعدة، وسط ذهول الرجل، الذي اختلَّ توازنه من المفاجأة. عاد إلى الخضري ليشتري لوازم صينية البطاطس.

\*\*\*

\_ بيحس بتقلصات! وأنا مال أهلي؟ أول ما سمعت منه الكلام ده، كنت عايز أرميه للعرييات تدهسه.

\_ أنا ساعات بحس بتقلُّصات على فترات متقطَّعة.



\_ بس!

\_ وانت برده تلايقك بتحس بيها من غير ما تحس، ايه  
عجبتك البطاطس؟

\_ بطاطس...

وضع معلقتين كبيرتين من البطاطس على طبق الأرز،  
أكله حتى نهايته، ثم قام من جلسته، ليضع الماء على  
النار، ليصنع لهما فنجانين من الشاي.





مکتبة عابث

## تركت

ثديها على ترابيزة السفرة، كما اشترط عليها زوجها، كي تذهب إلى أبيها المريض، سيعطيان -رغم ترهلها- منظرًا جميلًا للشقة. دخلت حجرتها وارتدت ثيابها، التي كانت بطبعها واسعة، والتي صارت أكثر وسعًا، خلعت ثيابها ثانيةً وتأملت جسدها بلا ثديين، سيصبح شكلها مضحكًا وهي تسير بثياب واسعة للغاية. ارتدت حمالة صدر، وفكرت في حشوها بأي شيء، خطر ببالها أن تضع بعض الأكياس، فثّشت في المطبخ، لم تعثر إلا على أكياس سوداء للقمامة، لم تُستخدم بعد، وضعتها وارتدت ثيابها، لكنها سمعت خروشة الأكياس عند الحركة، إذًا أقمشة! فتحت درج التسيريحة لم تجد سوى الخرق، التي تستخدمها لحبس دماء دورتها، حلق أمها، أطراف شعرها، الذي تقصّه أول كل شهر هجري، بعض ما تبقي من مرتبها، شهادة وفاتها، وضعتهم جميعًا في صدريّتها ورحلت.

قد لا يتذكر أبوها، إنه محجوز الآن، في نفس المستشفى الذي توفيت هي فيه، وقد لا يتذكرها أيضاً، دلفت إلى داخل المستشفى، كلما أوقفها رجل أمن أظهرت له شهادة وفاتها فيجعلها تمر، فتحت باب الحجره، كان أبوها راقداً في سرير مُنْسَخ، المسكين كلما قال أنه سيموت، لا يموت، هو الوحيد الباقي من عائلتها الصغيرة، الرائحة خانقة. وجدت على السرير بامبرز مقاس كبير، تأملت جلباب أيها المخطط المُنْسَخ، وتناولت البامبرز، مستخدمة بعض المناديل والخِرَق التي معها، ثم غسلت يديها، بعد أن ألبسته سرواله، تاركة جلبابه الأزرق المخطط على حالته، فهي لا تكاد تعرف أباه من دونه.

وضعت داخل جيبه بقايا مرتبها وحلق أمها، صارت صدريتها فارغة، حشرت يدها داخل ملابسها وخلعتها، ثم ألقت بها من نافذة الحجره لتسقط في فناء المستشفى، المرارة هي التي أتت بها هنا من قبل.

\*\*\*

دخلت شقتها، كانت تعرف جيداً أنه منذ وفاتها، وهما يعيشان معاً، لم يقابلا أحداً من أهله أو أهلها. حين دخلت، هبَّ واقفاً لمقابلتها، واحتضنها بشدة، يعاتبها غيابها عنه، فقد ظل وحده طوال فترة غيابها. اقتربت من

ترابيزة السُّفرة، وهي تعتذر له عن تأخرها، كانت خالية إلا من بعض الورد الطبيعي المجفف، تحسّست صدرها الخالي، وهي تدلف إلى حجرة نومها، خلعت عباءتها. الشق الذي في جانبها الأيمن، يترك ندبًا عميقًا، يومها غرس الطبيب سن الإبرة في وريدها، وحقنها بالمخدر، ثم قام بشق جانبها الأيمن، لم تستطع أن تخبرهم بهدوء، وهم يرفعون كليتها اليمنى، أنها دخلت لتُجرى عملية المرارة، لكنهم لحسن حظها، قاموا بخلع المرارة من مكانها أيضًا، فاطمأنت أن الألم الذي يأتيها بعد كل وجبة، لن يتكرر ثانية. انتبهت إليه، وهو يتحسّس جسدها، وتتحرك يده إلى الندب، الذي كانت تراه قبيحًا للغاية، لكنها تعرف أنه يعجبه بشدة.



**كان** المطر يهطل، حين قرر كلاهما أن يجريا  
تحت المطر، لا أحد يتذكر مَنْ فيهما صاحب  
الفكرة، وكأنهما استيقظا وهما يجريان تحت المطر، الشيء  
الوحيد الذي يعرفانه جيّدًا، أن الشارع الذي يسكنان  
فيه، لن يسمح بمثل ذلك، لو أنهما كانا على قيد الحياة  
سيصبحان، بعد دقيقة واحدة، أضحوكة الجميع.

لحقت به وهو يقفز تحت المطر، ويخلع القميص  
عنه، ليصبح نصف جسده عاريًا تمامًا، لتستقر قطرات  
المطر على بشرته السّماء، وتعطي جسده ملمسًا ناعمًا،  
خلعت هي الأخرى بلوزتها وطرحتها، وفكّت ضفيريها  
الطويلة، ليبتل شعرها تحت قطرات المطر، وتبدو كسراته  
المتعددة، انتبه إليها، ونظر بفرع، لكنها أخبرته بهدوء  
أنه لا أحد يراهما، نظر إلى المارين في الشارع، بالفعل لم  
يكن أحد يلحظهما، وكأنهما شبحين!



أوماً برأسه بعد لحظة من التفكير «هيجليك برد.. ما تخلعيش حاجة ثانية، إلا لما تقولي لي، حتى لو ما حدّش شايفنا». ربتت على كتفه، كمن تحاول استعطافه، انطلق ثانيةً يجري، ويضحك، خلع بنطاله، ووضع ملبسه تحت إبطه، تاركًا ملبسه الداخلية على حالها، ابتسمت وبدأت في خلع ثيابها تمامًا، ووضعتها في أقرب صندوق للقمامة قابلها، بينما كان يتقدّمها في الجري، ارتمت في أرض الشارع، وجلس هو بجوارها، ليفاجأ بها عاريةً تمامًا! فتح فمه عن آخره... «يا ولاد الكلب.. يا ولاد الوسخة»!

نظر لأعلى حيث مصدر الصوت، كان الصوت صادرًا من امرأة، تقع في بالكون بالدور الأول، كان المنظر مفاجئًا، الجميع رجالًا ونساءً وأطفالًا يتأملونهما، بعين حاقدة مشتتة، ثانية واحدة وتوالت الشتائم، قاما من على الأسفلت، الطوابير تحاصرهما، أمسك يدها وجعلها خلفه، كأنه يخفي بجسده ما بدا منها لهم، أخذًا يجريان وسط صخب عظيم، من يا ولاد الكلب يا ولاد الوسخة.. ثم سرعان ما تحول إلى يا ولاد الكلب يا ولاد الوسخة ورمي بالحجارة. اختبأ كلاهما، داخل إحدى العمائر القابعة تحت الإنشاء، وهما يرقبان من الداخل، الطابور الذي لا يبدو له نهاية، والذي لا يتوقف، حتى بعد اختبائهما.

قطرات المطر على جسديهما، اصطبغت بالأحمر، كان الدم ينزف من جسديهما، أخذت تمسح وجهها وتبكي.



وسط التراب ثلاث ضفائر، إنها جثة امرأة، زاد ذلك من حماستها، حتى جعلتها تطفو كليهً أمامها، بعد أن أزاحت عنها التراب، لم يكن هناك أثر لكفن، فقط جلايية، لا يبدو لونها من كثرة التراب العالق بها، أسرع قبل أن ينتبه لها أحد، خلعت ثياب زوجها، وألبستها للمرأة التي لا تعرفها، وأخذت جلاييتها، وهي تبتسم بغم مفتوح عن آخره، كانت الجلايية بها رائحة المرأة والتراب، يكفي بالنسبة إليها أنها رأتها وهي ميتة، وأتمت دفنها على مستوى لا يصل إليه القطط، حتى لا يزعجوا موتها، انطلقت سريعاً قبل أن يراها أحد، أخذت يداها تتحسسان الجلايية، صار جسدها مُغطىً بالغبار، ما وُلد لديها رغبة في الجري والصراخ عاليًا، نسيث أمر قبرها، وأخذت تعدو، تاركَةً البقعة التي أتمت فيها دفن ملابس زوجها، بداخلها تلك المرأة المجهولة، وخلفها عشرات القطط، التي ظلت تُصدر مواء، يصل ما بين أرض الشارع والسَّماء، وسط ضحكاتهما العالية.





لجنة قد تكون  
بمجازاة  
س (لثو) قد!

كل شيء صار يحمل خطوطاً زرقاء، باب بيتنا..  
خطوات أمي الليلية على أرضية الحجر.. جلباب  
أبي الذي كان يرتديه، وهو يدفن أختي الصغيرة.. قميص  
أمي داخل مستشفى المعمورة.. رأس أختي الكبير.. عيني  
التي لم تذق النوم، لثلاث سنوات متواصلة.. يد جارتي  
وهي تضرب أمي لتمنعها من النافذة.. يدي بعد أن صرّ  
أتولى أنا ضرب أمي.. الجنة التي قد تتسع لنا جميعاً.

كانت أمي جالسة تصنع لنا الفطير، وأختي تسند  
رأسها الكبير على كتفي، وتهمس لي من حين لآخر، أبي  
جالس يعبث في إصبع قدمه اليمنى، مرتدياً جلبابه الأزرق  
المخطط كالعادة، وكان زوجي يقرأ الجريدة باهتمام، وكان  
شيئاً جديداً يحدث، لا أدري تحديداً كم مرّ من الوقت،  
ونحن كذلك جميعاً، ولا كيف اجتمعنا جميعاً بعد الموت  
في بيت واحد، بيتنا القديم، يبدو أن كل محاولاتي في عدم  
مقابلتهم باءت بالفشل، تركت مكاني، لأذهب إلى النافذة،  
أستنشق بعض الهواء، استبدلت أختي كتفي بكتف

الحائط، تُسند رأسها عليه، وتتحرك نحو الحائط، بحركة بدت منتظمة، وكأنها تهمس من حين لآخر، تأملت أرض الشارع، كان الشارع يضج بطوابير كثيرة، كانت على مدى الشوف.

خطوة.. اثنتان.. ثلاث.. عشرة... عشر خطوات هي المسافة بين مكان جلوسي والنافذة، وعشرة أُخر بين مكان جلوسي وأرض الشارع، هممتُ بارتداء ثيابي، سألت زوجي أن يرافقني، لكنه أخبرني أنه سيلحق بي، بعد أن ينتهي من الجريدة. تركت أمي العجين، وذهبت تغسل يدها، وبدا لي أنها تود المجيء معي، أوقفتها بإشارة من يدي، وقلت لها في تحدٍّ واضح: لا أريدك...

أومأت أمي برأسها مستسلمةً، وعادت بحركة آلية إلى العجين، تضع عليه بعض الماء، وتغرس يدها بداخله، تحرّكت سريعًا هبوطًا إلى أرض الشارع، كان الزحام هائلًا، وكذلك الضوضاء، بدا لي البعض أنه لا يعرف لم يقف هنا تحديدًا، والبعض الآخر يعرف ما يريد بالضببط، وكأنه ذهب إلى أول الطابور ورأى، الرؤية بالنسبة لي غير ممكنة، لم أتجرأ على السؤال البدهي «انتم واقفين هنا ليه!»

عدلت من وضع طرحتي، صعدت درجات السلم ثانية، دلفت إلى الحجرة، لأرتدي ثوبًا أوسع، أخذت ثوب أمي، واتجهت إليها، أضعه في حجرها، كانت لا تزال تغرس يدها

في العجين، ارتفع صوتي قائلاً: كلما نظرت إلى المرأة رأيتك،  
ربما لو كنت معي أرى نفسي....

هَمَّتْ من رقدتها فرحةً، هبطنا درجات السلم إلى  
الشارع، ظللنا نسير محاولين الوصول إلى أول الطابور،  
حتى أنهكنا التعب دون جدوى، كان الطابور طويلًا جدًا،  
لا نرى له أول، أخبرتني أمي أنه لا جدوى، ما الجديد  
هنا أو هناك، اشتعلت برأسي فكرة، شبكت أصابعي،  
وصنعت بيدي خطوة أخرى، ربما هي الخطوة الحادية  
عشرة، لتصعد أمي عليها وتقفز فوقي، سألتها عمًا تراه  
في الأعلى، لكنني لم أسمع إجابتها، من فرط الهرج الذي  
حدث حولنا، بدأ الناس يقفزون على بعضهم البعض،  
ويشبهون أيديهم، ليصنعوا طوابير رأسية، طوابير للأعلى،  
بدلاً من تلك الطوابير الأرضية، التي لا جدوى منها، أصبح  
الناس في محاذاة النوافذ، أخذ الناس يقفزون فوق أمي،  
كان طابورنا هو الأول، وصار الأعلى أيضًا.

كلما ازداد ارتفاع الطابور، كلما شعرت أنا وأمي،  
بالانضغاط في الأسفل، وكلما اقتربنا أكثر من أرض الشارع،  
تحسست بطني التي كانت ترتفع مع مرور الوقت، وشعرت  
أنني أحتاج ثوبًا أوسع، بدأ من في بطني يتحرك، أحس  
بركلاتها.. أشعر أنها فتاة.. تمثيت لو أن أمي بجواري الآن،  
تحتضني وتعلمني كيف أتعامل مع الطفلة التي ستأتي إلى  
الحياة، حاولت أن أنظر للأعلى، لأرى نهاية الطابور، كان



الطابور على مدى الشوف... الرؤية غير ممكنة، اكتفيت  
 بالنظر إلى عيني أُمي، تحسّست بطني، وابتسمت بجانب  
 فمي الأيسر.





## حياة أخيرة

أغلقت الراديو بعد أن أعلن  
مسئول الموق عن أسفه الشديد لكل  
ما حدث، وعبر عن ذلك بجملته  
المعتادة، والتي يقولها كلما حدث  
أمر مشابه:

«أنا ميت ومُضرب عن العمل  
لحين العمل على إصلاح الأوضاع،  
أدعو الجميع للالتفاف حولي، والموت  
والإضراب مثلي، فلا أحد يستطيع  
أن يوقفنا إذا اتحدنا معًا، لا أحد  
يستطيع إيقاف الطريق الصاعد!»



# دكان أبي زيد

قاصة وطبيبة مصرية، من مواليد الإسكندرية 1988م،  
تخرجت في كلية الطب جامعة الإسكندرية، صدرت لها  
مجموعة قصصية بعنوان "نقوش حول جدارية" عن  
الهيئة العامة لقصور الثقافة.

تتلى

مكتبة عابث

إهداء	5
موت أول	7
أزرق	9
وابتسمت بجانب فمها الأيسر	15
هو / هي	21
اعتيادي	27
ورقة كوتشينة	37
ناصية	43
جنازة ثانية لرجل وحيد	49
عيش فينو .. للعشا	55
الموتى يقرأون الفاتحة	61
فنجان شاي بارد	75
ندب	83
ثلاث ضفائر ومطر	89
الجنة قد تكون بمحاذاة النوافذ!	97
حياة أخيرة	105



## صدر عن دار الربيع العربي

2015  
دافنشي- دراسة تحليلية لذكريات طفل، سيجموند فرويد، دراسة  
الأوركسترا الليلية، رضا قاسمي، رواية  
السهم الزمني، مارتن أميس، رواية مترجمة  
برج العذراء، إبراهيم عبد المجيد، رواية  
ذاكرة الحكاين، أمير تاج السر، مقالات  
أهواك، أشرف الخمايسي، قصص  
الصنم، أشرف الخمايسي، رواية  
ريمورا، غسان حمدان، رواية  
خطايا الالهة، أدهم العبودي، رواية

L for life, love and in between, Loaiy A. Tageldin, Short stories

2014

طهران.. الضوء القاتم، أمير حسن جهلتن، رواية مترجمة  
صياد الملائكة، هدرا جرجس، رواية  
أبايل، شريف عبد الهادي، رواية  
الطيبيون، أدهم العبودي، رواية  
النوم مع الغرباء، بهاء عبد المجيد، رواية  
تقتلي أو أكتبها، عبد الصبور بدر، قصص  
صف واحد موازي للوجع، ممدوح زيك، شعر عامية  
بنادورا، ميسرة صلاح الدين، مسرحية شعرية  
لا شيء لي، محمد رجب، شعر

2013

بريود، محمد متولي، قصص  
القاهرة، أحمد بخيت، ملحمة شعرية  
آخر أحلام الدائيل، معتز هاني، نصوص  
شفرة فرويد، رامي جان، رواية  
الوشم المقدس، شادي المحمودي، شعر

2012

ملك وامرأة وإله، نوال السعدواي، مقالات وقصص  
آيات علمانية، عماد نصر ذكري، مقالات  
الشوارع الجانية للميدان، طارق مصطفى، متتالية قصصية  
قميص جامعة الدول، أحمد الواصل، قصص  
أورارا، فضل ساسي، رواية

## جائزة ثانية لرجل وحيد

أغلقت الراديو بعد أن أعلن مسئول الموتى عن أسفه الشديد لكل ما حدث، وعبر عن ذلك بجملة المعتادة، والتي يقولها كلما حدث أمر مشابه: "أنا ميت ومُضرب عن العمل لحين العمل على إصلاح الأوضاع، أدعو الجميع للالتفاف حولي، والموت والإضراب مثلي، فلا أحد يستطيع أن يوقفنا إذا اتحدنا معاً، لا أحد يستطيع إيقاف الطريق الصاعد"

### دعاء إبراهيم

قاصّة مصرية من مواليد الإسكندرية  
1988. درست الطب والجراحة بجامعة  
الإسكندرية. أصدرت مجموعة قصصية  
واحدة بعنوان "نقوش حول جدارية"، عن  
الهيئة العامة لقصور الثقافة.